



على أبواب رمضان

الاسئلة و الفتاوى

محاضرة في الأردن

2022-03-28

عمان

الأردن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وأصلی وأسلم على نبینا الأمین، وعلى آله وأصحابه أجمعین، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملأً متقبلاً يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القيبات وبعد.

شهر رمضان فرصة عظيمة للصلح مع الله:



رمضان فرصة للرّقى في سلم الطّاعات والخيرات، كثيرون من الأجياب إليها الأخوة الأحياء؛ نحن على اعتاب وأبواب شهر عظيم، كلّنا ننتظره يغري الشّوق والصّبر، ذلك لأنّ هذا الشهر فرصة نوعية للرّقى في سلم الطّاعات والخيرات، كثيرون من الأجياب والأقراء وكلّ منكم الآن لو قلت له: عدد في ذهنك أشخاصاً ممن تحبّ كانوا معك في رمضان الماضي لكنّهم ليسوا معك الآن؟ لعدّ اثنين، وثلاثة، وأربعة، ورّبّما عشرة، فمن أحياناً الله تعالى وبطءه رمضان فقد كتب له فرصة جديدة للصلح مع الله، والاستزادة من الخبرات، لأنّ الذّي كان لها أنها الإجوبة ليس فيها شيء إلا ما فرّبك من الله تعالى، وأي يوم لا تزيد فيه قريراً من الله أو عملاً صالحًا في خدمة عباد الله فإنه ممضي، بينما أي يوم تزيد فيه قريراً من الله أو خدمة لعباد الله فإنه يمضي زماناً، ولكنه يدوم ويقى أثرًا ليوم القيمة، فنشر رمضان فرصة عظيمة لعلّ الله أن يبلغنا إياها جميعاً، وينمّ علينا ونحن في ستر وعافية، وهذا فضل من الله تعالى.

مخففات ذكرها الله في القرآن يوم فرض الصيام علينا:

1 - تذكير الله الإنسان بما بينهما من إيمان:

الله تعالى حين فرض الصيام أنزل آيات تُثلى بكتابه إلى يوم القيمة، وجعل فيها مخففات، ربنا جل جلاله هو الغني عن عباده، ولكنَّه رغم ذلك عندما فرض علينا الصيام، والصيام فيه تكليف، والتَّكليف فيه كلفة، فيه امتناع عن الطعام، وعن الشراب، وعن الشهوات لفترة من التَّهار، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فذكر لنا مخففات، أحصيتها خمس مخففات في الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ 183

(سورة البقرة)



التعاقد على الإيمان مع الله عز وجل

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) هذا المحرف الأول، كأنَّه يقول لك: يا عبدي يبني عقدي إيماني، فنحن تعاقدنا على الإيمان مع الله عز وجل، آمنا به إلى موجوداً، واحداً، كاماً، آمناً بكتبه، برسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، فأصحنا على مرتبة معينة اسمها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) كما ينادي الناس للدكتور: الدكتور الفلاني سواء كان دكتوراً في الطب أو الجغرافيا أو الفيزياء، فحتى يحصل على هذا اللقب يدرس ست سنوات ابتدائي، وست سنوات تعليم ثانوي، أصبحوا أشقي عشرة سنة، وبعدها أربع سنوات أصبحوا ست عشرة سنة، وبعدها ماجستير ودكتوراه أربع سنوات، أي يقضى في حياته ثمانية عشرة سنة في التعليم، بعدها يصبح اسمه: دكتور، ويحق له أن يضع د. قبل اسمه.

الآن: إذا أردت أن تصبح من (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) هذا بناءً أهم من بناء الطبيب وأهم من بناء الدكتور، أنت مؤمن أصبحت الآن تُخاطب من قبل الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) لذلك ليس سهلاً إذا قرأت في كتاب الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) هذا خطاب بناء على العقد الإيماني، فالمحرف الأول من الله أنه يذكرك بما يبني ويبنيه من الإيمان، تماماً إن كنت تريد أن تخاطب أناساً بقضية متعلقة بالحقوق، تقول: يَا أَيُّهَا المحامون، فيتبته المحامون لك، لأنَّ القضية متعلقة بالحقوق، وإن كنت تبني بناء تقول: يَا أَيُّهَا المهندسون، والله تعالى يفرض علينا الأمر الإلهي بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) وهذا المحرف الأول.

2 - رمضان شريعة ماضية في كل الأمم:

قال: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) تَقْفُونَ، أنت لستم يَدْعَأُ من الأمم، الأمم السَّابِقَةُ فُرِضَ عَلَيْهَا الصَّيَامُ أَيْضاً، أي الصيام ليس في شرعاكم فحسب، إذا دخل المدرِّس للصف، وفرض واجباً، قال لهم: الصَّفَحةُ السَّابِعَةُ وَالسَّيْنُونَ فِيهَا واجبٌ عليكم كيائمه، فيتميل بعض الطلاب، فيقول لهم: هذا الواجب ليس لكم فقط، فأنا أعطيته للشعب العشرين وكلهم أذوه، فلأنتم لستم يَدْعَأُ من الطلاب، فرِبَّا عَزْ وَجَلْ يُهِبُّنَا لنلقِي الْأَمْرَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)، وهذا شريعة ماضية في كل الأمم.

3 - التقوى هي الحكمة من الصيام:

أعظم مخفف قوله: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) أي بَيْنَ لك الحكمة، هذا المحرف الثالث، بَيْنَ لك الحكمة، أحياناً إن كان للإنسان مكانة كبيرة في المجتمع يقول لك: أنا غير مطالب ببيان الحكم، يصدر أمراً: يَا أَيُّهَا الموطنون يجب الالتزام بالحظر، انتهى.



إذا أردت أن تأمر بأمرٍ فبِّينَ ما حكمته

من دون حكمة، لأنه قويٌّ، والقوى يطلب دون أن يبيّن الحكمة، ربنا جل جلاله يعلمك أنك إذا أردت أن تأمر بأمرٍ فبِّينَ ما حكمته، حتّى يُقبل الناس عليه برحابة صدر، عندما تُوضّح الحكمة لابنك في أمر ما يتبنّاه، تقول له: يا بني الصلاة من أحلّك أنت، الصلاة ترقى بك في معارج القلاح والتوفيق، إذا أردت أن تأمره بحفظ القرآن، أو أن تعلّمه بِّينَ له الثنائين المقترنة على تعلّمه، فعندما تبيّن الحكمة تبنيّ الأمر، فإذا بَيْنَ الحكمة لم يمْظُف في الشركة عندك مثلاً يدافع عنه هو لأنّه أصبح يعرف أن هذا الأمر له فيه مصلحة حقيقة وليس مصلحة وهمية، فقال تعالى: (الَّذِي لَمْ يَعْلَمْ شَيْءًا) أي يا عبادي هذا الصيام لم يُفرض عليك من أجل أن تجوع وتعطش لعشرين ساعات وخمس عشرة ساعة، الموضوع له هدف عالٍ جداً، يربّيك أن تصل إلىه وهو أن تتحقق التقوى، والتقوى من الوقاية، المصدر وقى، الواقية أن يجعل بينك وبين الشيء وقاية تُنفعه به، سُئل سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه ما التقوى؟ قال له: أسلكت طريقةً ذا شوك يوماً؟ قال نعم، قال: ما صنعت؟ قال: كتبت إذا مررت بالشوك جاورته أو ابتعدت عنه - إما أن أفتر فوقه أو أبعد - قال: بذلك التقوى، أي فهمه التقوى من المعنى اللغوي، إنك إذا وجدت شيئاً فيه معصية لله تتجاوزه وتبعد عنه، فالتفوى هي أن تخرج من رمضان وقد جعلت بينك وبين معصية الله تعالى وقاية، فتكون قد حفّلت التقوى، لماذا الصيام يحصل التقوى بشكل رئيس؟ قال الله تعالى في الصلاة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ 45
Span/>

(سورة العنكبوت)

فالملصّلي ليس في كلامه فحش، ولا في أفعاله منكر.
قال الله تعالى في الزكاة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُدْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً نُطَهِّرُهُمْ وَنُرَكِّبُهُمْ بِهَا
وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتِكَ سَكُنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ 103

(سورة التوبة)

أي نفس الفقر تطهر، ونفس الغنى تظهر، والمال يظهر، ونفس الفقير تزکو، لآخر تزکو، لأنّه شعر بالإحسان إلى الآخرين - وهذه قيمة عظيمة - والمال يزكي، وينميّ الله تعالى لك، فالرّزق طهارة ونماء، والصلة امتناع عن الفحشاء والمنكر، هذه الحكم.
قال الله تعالى في الحج :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالسَّهْرُ الْحَرَامُ وَالْهُدْيُ وَالْقَلَائِدُ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ
اللَّهُ يَعْلَمُ شَيْءاً عَلِيمٌ 97

(سورة المائدة)

إذا ذهب الإنسان للعمرأة أو الحج وطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروءة، وأدى المناسك، يحصل له إيمان عميق بعلم الله تعالى، يجد حوله الآلاف المؤلفة والملائكة الممليئة من كل حدب، ومن كل صوب، وكل ينادي الله تعالى بلغته، والله تعالى يتجلّى على الجميع فيخرج وقد علم أن الله يعلم ما في السماوات وما في الحج، هذا الحج، الصيام: (العلقم تتقون).



كل عبادة من العبادات معللة بمصالح الخلق

فكل عبادة من العبادات معللة بمصالح الخلق، لم يشرع الله تعالى عبادة من أجله، وإنما شرع العبادات من أجلنا، فإذا علمت أن العبادة لك، فيها منفعة ومصلحة - والإنسان يحب مصلحته، مصلحة حقيقة فيبادر لها فوراً، الأم أيها ت يريد أن يشرب ابنها الحليب، طفل عمره حوالي السنتين قال لها الطبيب: إنه يجب أن يشرب كل يوم كأس حليب لأن معه نقصاً في الكالسيوم مثلًا، فتجبره على شرب الحليب، هو لا يريد الحليب، يريد أن يشرب كأساً من المياه الغازية، يرى مصلحته في المياه الغازية، الأم والطبيب رأوا المصلحة الحقيقة وليس المُتوهّمة، نحن نرى أحياناً المصلحة المُتوهّمة، الذي يرتشي لماذا يرتشي؟ مصلحة، لكن متوجهة، هو توقّه أن مصلحته في منه دينار يأخذها من غير علم أحد، ما علم أنها نار تحرقه يوم القيمة، طلبها مكتسباً ومصلحة، الذي يمشي في الطريق، وينظر للغادريات والرايات لصالحة، فهو يرى مصلحته في إمتناع ناظريه، وما علم أن هذه النظرة سهم مسموم من سهام إيليس، الذي يريد أن يصل لمنصب ما هذه مصلحة، فيدفع لفلان وعلان ليصل للمنصب الذي يريد، ولكنه لا يعطي الأمر حقه وبأمانة كما ينبغي فيحاسب يوم القيمة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُوَّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ 24

(سورة الصافات)

يقول: أنا مسؤول كبير، وترتم فيها، مسؤول كبير يوم القيمة: **وَقُوَّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ** فتجبره عليه، سُسأله، طنّ أنّ مصلحته في ذلك، أما بمن فنتكلم عن المصلحة الحقيقة، فالطفل يرى مصلحته المُتوهّمة التي تريحه كأساً من الماء الغازية، بينما الأم قال لها الطبيب: المصلحة الحقيقة في كأس الحليب صباحاً، العاقل عندما يكرر يقول له الطبيب: يجب أن تشرب الحليب، ولكنه لا يحبه فيضع له قليلاً من النسكافيه ويشعره لأنه يعلم أن مصلحته هنا، وكذلك المؤمن يعلم مصلحته الحقيقة وليس المُتوهّمة، فالله تعالى يخبرك عن المصالح الحقيقة في كتابه فقال: (**بِاِنَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَيْنَ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ كَمَا كَيْنَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) إذا طنت أن مصلحتك بالطعام والشراب، لا، في هذا الوقت مصلحتك في الامتناع عن الطعام والشراب، لذلك يقول تعالى كما في الحديث الفدسي:

{ كُلُّ عَمَلٍ إِنِّي آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي يَهُ، وَلَحْلُوفُ قَمِ الصَّائِمِ أَطْبَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ }

(رواية البخاري)

الله تعالى يجازي عن الصيام لأن الصيام عبادة الإخلاص:

أنا كنت دائمًا أفكّر في هذا المعنى، أي الصلاة لله، الحج لله، لماذا الصيام قال فيه: (**إِلَّا الصَّيَامُ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي يَهُ**).

إخواننا الكرام: العبادات كلها فيها فعل إلا الصيام فيه امتناع، ركن الصيام هو الإمساك.

الصلاحة: أقوال وأفعال مفتتحة بالتّكبير وختّمت بالتسليم.

الزكاة: دفع مال.

الحج: طواف وسعى، وقف بعرفة، تلبية.



الاخلاص يظهر في الصيام بشكل واضح

فكل العبادات أفعال وأقوال، الصيام ما ركته: لا فعل ولا قول، بل امتناع، لا يجب أن يدخل أي طعام أو شراب، حتى الامتناع عن الرفث والفسق، فالاخلاص فيه يظهر بشكل واضح مئة بالمئة بخلاف العبادات، قد يربى صاته عندما يرى أن هناك من ينظر إليه، يكون في عجلة من أمره، فيلمح أحدهم دخل إلى المسجد، وله تجارة معه فيعمد عينيه، رباه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

{ إنَّ يَسِيرَ الرِّبَاءَ شِرْكٌ ، وَإِنَّ مَنْ عَادَى وَلِيًّا لِلَّهِ فَقْدَ بَارَزَ اللَّهَ بِالْمُحَارَةِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَئِمَّةَ الْأَخْفَيَّةَ؛ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفَتَّدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوَا وَلَمْ يُعْرَفُوا، مَصَابِحَ الْهُدَىِ، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ عَبْرَاءٍ مُطْلِقَةَ }
 الأبرار الأئمة الأخفياء: الذين إذا غابوا لم يفتداوا، وإن حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا، مصابيح الهدى، يخرجون من كل عبراء مطلقة }
 (رواه البيهقي وابن ماجه)

{ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَحْنُنَ تَذَاكِرُ الْمُسِيَّخَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: " أَلَا أَخِيرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمُسِيَّخِ الدَّجَالِ؟ " قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: " الشَّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصْلِي، فَيُرِّيْنَ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ " }
 صحيح ابن ماجه)

الرکاة: يكون في مجلس فيدفع، من يعلم بيته؟ قد تكون بيته أن يقال: فلان منافق.

الحج: يعود وتقام له حفلة في السوق، ولكن قد تكون بيته غير حقيقة، فقط من أجل السمعة، ومن ضمن النشاطات يسافر ويتجوّل وكأنه نشاط اجتماعي.
 الصوم: فيه معنى الإخلاص بخلاف بقية العبادات، ندر أن يتطرق إليه الرباء، فقال: **(إِلَّا الصِّيَامُ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَخْرِيْ بِهِ)** لأنه امتناع، ادخل إلى بيتك الساعة الثانية ظهراً، وأنت عائد من العمل، والحرارة في الخارج خمس وثلاثون درجة، الجو حار، ولا يوجد أحد في المنزل، ولا يوجد كاميرات تصوّر، ممكن أن تفتح الثلاجة وتشرب الماء ولن يعلم أحد إلا الله، لذلك الصوم عبادة للإخلاص، فقال: **(إِلَّا الصِّيَامُ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَخْرِيْ بِهِ)** الجراء من الله لأنه لا يكون إلا لله، فالمصحف الثالث: **(الْعَلَّمُ تَتَقَوَّنُ)** لأن القوى أكثر ما تظهر في الصيام.

4 - الصيام أيام معدودات: قال الله تعالى:

يَسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ /> فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّهُ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى وَعَلَى الَّذِينَ يُطْبِقُونَهُ فِي ذِي طَعَامٍ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَّعَ حَيْرًا فَهُوَ حَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا حَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

(سورة البقرة)

الإنسان ملول، وعندما دعا النبي صلى الله عليه وسلم ونزل المطر دعوا: يا رب خفف المطر، فضحك النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فالإنسان ملول فقال له: شهر من اثنى عشر شهرًا، ثلاثة وسبعين يوماً من ثلاثة وخمسة وسبعين يوماً، أي الصيام أقل من العشر، باقي الأيام لك كلُّ واشرب وتمُّنْ، لكن هو أيام معدودات أي يُعَدُّوا وليسوا بالكثير، تسعه عشرة وثلاثون يوماً فقط.

5 - من يشق عليه الصوم وفق الضوابط الشرعية يُغْفِي منه:

قال تعالى: (قَمْنَ كَانَ مِنْتُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّهُ مِنْ أَيَّامَ أَخْرَى) أي الصيام يُغْفَى منه أصناف، على رأسهم المريض، ويتحقق به الحال إذا خافت على حملها أو على نفسها، والمريض إذا خافت على نفسها أو على ولدها، والمسافر ضمن أذكار السفر المبيح للغطر، فجعل المخفف الخامس هو أن الإنسان الذي يشق عليه الصوم وفق الضوابط الشرعية، وليس وفق الهوى يُغْفَى من الصوم، فإن كان يستطيع القضاء فقضى، وإن لم يستطع القضاء فعليه (فِذْيَةٌ طَاعُمٌ مِسْكِينٍ) فجعل هذه المخففات الخمس في مطلع فرضية الصيام.

أعظم ما في رمضان أنه شهر القرآن:

ثم يقول تعالى في الآية التي تليها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هَذِي لِلنَّاسِ وَبَيْنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ قَمْنَ
شَهِيدٌ مِنْكُمُ الشَّهْرُ فَلَيَصُمُّهُ وَقَمْنَ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّهُ مِنْ أَيَّامَ أَخْرَى يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُدَّةَ
وَلَيُكَثِّرُوا اللَّهُ عَلَى مَا هَذَا كُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَسْكُرُونَ 185

(سورة البقرة)



شرف الله رمضان يبدئ نزول القرآن الكريم

يبين لك أن شرف الرزمان جاء من شرف المتنزّل فيه، فرمضان شهر كشوّال وكشعيان، ولكن شرفه الله تعالى بأن ابتدأ فيه نزول القرآن، أو أن القرآن نزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وكلاهما قولان صحيحان، إما أن القرآن ابتدأ نزوله في رمضان، أو أنه نزل كلّيًّا من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في رمضان، ثم نزل مُنحًّا على ثلاث وعشرين سنة، شهُورٌ رمضان الذي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ فأعظم ما في رمضان أن نلزم كتاب الله، وأعظم ما في رمضان أن تللو كلام الله، وأعظم ما في رمضان أن تتدبر معاني وهدي القرآن الكريم، هذا أعظم ما في رمضان، لأنه شهر القرآن.

أوضاع القرآن الكريم:

القرآن أبهى الكرام ربنا جل جلاله - من يومين كنت أقرأ في سورة الزمر- وصفه بعشرة أوصاف في آية واحدة، أجمل آية تصف كتاب الله، اسمعوها مُنّي، قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُ تَرَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَسَائِلًا مَتَائِيَّ قَسْعَرُ مِنْهُ جَلُودُ الدِّينِ يَحْسَنُونَ رَاهِمُهُمْ نَمْ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ
يَهْدِي بِهِ مَنْ يَسَّأُ وَمَنْ يُصْلِلُ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَاءِ 23

(سورة الزمر)

أين العشرة؟ اسمعوا:

الأولى: (الله تَرَّل) القرآن منزل من قبل الله تعالى، فهو كلام الله، وفضل الكلام من فضل المتكلّم، فإذا علمت أن الكلام منزل من الله تعالى، فذلك أدعى أن تخشع جوارحك له (الله تَرَّل).

الثانية: ولا أحد غيره، من أين أتيت بها فهذه غير موجودة في الآية؟ هذه من اللغة العربية، مفهوم الكلام، عندما تقول: الملك أمر بمنحة مالية لكل مواطن مئة دينار- هذه إشاعة لا علاقتها لها، هذا الكلام من عندي- عندما تقول: إن الملك أمر بمئة دينار لكل مواطن، كأنك تقول بداخلك ليس لرئيس الوزارة علاقة بالموضوع، ولا لمجلس النواب، ولا للمالية، هذا أمر ملكي، خاص صرف، عندما يكون المبدأ اسم معظم، والخبر جملة فعلية، أي لا أحد غيره، عندما قال: (الله تَرَّل) أي ضمناً لا أحد جل جلاله، هذه الثانية.



كلام الله قرآن عربي

الثالثة: (**أحسن الحديث**) من حُدُثَ الْأَمْرِ إِذَا اسْتَجَدَ، أنا أقول: اليوم يوجد حدث، أي شيء جديد استجد، القرآن الكريم من الفاتحة إلى الناس لا يعدو أن يكون خبراً أو إنشاء، كيف رُكِّزوا معي قليلاً، هذه مهمّة جدّاً، كلّماتنا في اللغة العربية إما أن يكون خيراً أو إنشاء، أي كلمة تحكيها إما أن تكون خيراً أو إنشاء، إذا قلت لك: الشّمس ساطعة؛ خير، الجو بارد؛ هذا خبر، إن قلت لك: يا محمد: إنشاء، اكتب: إنشاء، ادرس: إنشاء، لا تغتب الآخرين؛ الخبر: كلّام يتحمل الصدق أو الكذب، أي خبر ممكن أن تواجهني به وتقول لي: صح أو غلط ممكن أن أقول: اليوم حدث حادث في الدّوّار السّابع فأي شخص يقول: هذا الكلام خطأ فمحلي عند الدّوّار، ولم يحدث شيء، هذا خبر، بينما إن قلت لإنسان: ادرس، هل يستطيع أن يقول لي: صادق أو كاذب؟ هذا أمر والإنشاء لا يتحمل التصديق أو التكذيب، والخبر يتحمل التصديق أو التكذيب، الآن: كل ما في داخل دفتي المصحف لغة عربية، كلام الله قرآن عربي، إما أن يكون خيراً أو إنشاء، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

<وَتَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ> وَهُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيمُ 115

(سورة الأنعام)

فكل ما فيه من الأخبار صدق، وكل ما فيه من الإنشاء والأوامر عدل، فالله لا يأمر إلا عدلاً، ولا ينهى إلا عدلاً، ولا يحذّر إلا صدقأً: (**وَتَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا**).

الآن من زاوية ثانية: كل ما في القرآن حديث، حتى الأمر والنهي هو إخبار عن الله، فهو خبر عن الله، فصار القرآن حديثاً، سماه الله تعالى حديثاً لكنه هو **أحسن الحديث**، أنا أتكلم عن كلام الله فلتتم تطريرون لبعض كلامي لأنه عن كلام الله، إن أتي أحدهم وتكلّم عن الدنيا فقد ينهض بعضاكم ويدّه، وإن أتي أحدهم وتكلّم كلاماً فاخشاً فتذهبون كلّم لأن هذا أسوأ الحديث، كلام الله أحسن الحديث، إذا أحب إنسان أن يسمع حديثاً في منتهي الحسن فهو كلام الله، أما كلام البشر فهو الصواب وفيه الغلط، (**أحسن الحديث**) هذه الثالثة.

(كتباً): أي مكتوب، ولو لم يكن الكتاب مكتوباً لما تم حفظه، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا نَحْنُ نَرْزَلُنَا الدَّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَخَافِظُونَ 9

(سورة الحجر)

فحفظ في الصدور، وحفظ في السطور، فهو مكتوب حتى ياملائه كما جاء في القرآن الكريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ تَعْدَ إِصْلَاجَهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا
إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ
الْمُحْسِنِينَ 56

(سورة الأعراف)

بالناء الميسوطة، بينما بقواعد اللغة بالناء المربوطة، لا نغيرها بالمصحف، لها حكمة، عندما جمع النبي صلى الله عليه وسلم المصحف قال لهم: ضعوا هذه الآية هنا وهذه هنا، فكتب المصحف حتى يحفظ، فمن ميزاته أنه كتاب.

الخامسة: (**مُتَشَابِهًا**) ما معنى متشابه؟ كلمة متشابه ليس لها علاقة بالمحكم والمتشابه، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَإِنَّمَا
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَبْعٌ فَيَسِّعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ اِبْرَاهِيمَ الْقُبَّتِيَّةَ وَابْنَتَهُ اِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسُخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ أَمَّا يَهُ كُلُّ مِنْ
عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكِّرُ اِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ 7

(سورة آل عمران)

هنا الموضوع مختلف، هناك المتشابه مقابل الم المحكم، المحكم الذي لا يحتاج إلى تأويل أو تفسير، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ 1

(سورة الإخلاص)



القرآن الكريم متشابه في الحسن والجمال والبلاغة

هل تحتاج إلى تفسير أو تأويل؟ هل يوجد لها معيناً؟ ولكن أحياناً تكون الآية تحتمل معيناً فنسبيها متشابهة، أي تشبه هذا المعنى، وتتشبه هذا المعنى، هذا المتشابه أمر آخر، هنا ما معنـى (**مُتَشَابِهًا**)؟ أي كل آية فيه تشبه أحنتها في الحسن والجمال والبلاغة، وكل سورة فيه تشبه أحنتها في الحسن والبلاغة، من أين جتنا بهذا المعنى؟ من لغة العرب، العرب كانوا إذا وجدوا وجهاً جميلاً يقولون: هذا وجه مقصـمـ، أي كل جزء منه يشبه الجزء الآخر في الجمال والحسن، النساء إن كان هناك خطبة، يتكلمنـ مع بعضـهمـ، ممـكـنـ أنـ يقولـ لهاـ والله عيونـهاـ جميلـةـ، ولكنـ الفـمـ غـيرـ جـميـلـ، كـلامـ نـسـاءـ، وـكـلـ حـلـقـ اللـهـ جـميـلـ، مـمـكـنـ أنـ تـقولـ: العـيـونـ حـمـيلـةـ وـلـكـ الـأـلـفـ لـيـسـ جـميـلـ، أيـ تـفـضـلـ الـوـجـهـ، أـمـاـ الـحـسـنـ فـمـكـامـلـ، فـالـعـربـ تـقولـ: وـجـهـ مـقـسـمـ أيـ كـلـ أـجـزـائـهـ مـتـشـابـهـةـ فيـ الـحـسـنـ وـالـجـمـالـ، فـفـيـ الـقـرـآنـ لـاـ يـوـجـدـ إـسـنـانـ مـمـكـنـ أـنـ يـقـولـ: وـالـلـهـ سـوـرـةـ الـعـلـقـ رـائـعـةـ وـجـمـيلـةـ، وـلـكـ تـلـكـ أـقـلـ، مـعـادـ اللـهـ! كـلـ جـمـيلـ، قـدـ تـقـولـ: أـنـ أـنـاـ أـنـاـ كـثـيرـاـ بـسـوـرـةـ الرـّمـرـ، فـهـذـاـ مـوـقـفـكـ مـنـ الـآـيـةـ، لـأـنـكـ قـدـ سـمـعـتـهاـ فـيـ الـحـرمـ مـثـلـاـ، وـتـفـاعـلـتـ مـعـ آـيـاتـهاـ، فـهـذـاـ مـوـقـفـكـ، بـيـنـماـ فـيـ الـجـمـالـ وـالـبـلـاغـةـ وـالـحـسـنـ فـكـلـهـ سـوـاءـ، هـذـاـ (**مُتَشَابِهًا**)ـ.

تأثير المشركين بالقرآن الكريم:

{ عن جبير بن مطعم -رضي الله عنه- قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ حَلَقُوا مِنْ
غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالقُونَ، أَمْ حَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَوْقُنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنِ رِبِّكُمْ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾. قال: كاد قلبي أن يطير. }
(متفق عليه)

الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على فقرأ عليه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

(سورة النحل)

{ قال: أعد فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: والله إن له لحلوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمدق، وما يقول هذا بشعر، وقال لقومه: والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مثني، ولا أعلم برجوه ولا بقصيده مثني، ولا بأشعار الجن والله ما يشبه هذا يقول شيئاً من هذا والله إن لقوله الذي يقول حلوة، وإن عليه لطلاوة، وإن لمثمر أعلاه، مدق أسفله، والله ليعلو وما يعلى، والله ليحطّم ما تحتمه. }
(البيهقي)

وهو على شركه تأثر بالقرآن هذا التأثر.
عتبة بن ربيعة ذهب للنبي صلى الله عليه وسلم ليحدثه لعله يكف عن سب آلهتهم، أي كف عن آلهتنا يا محمد فحدّنه فلما فرغ قال النبي : أوفد اتهيت؟ قال: نعم قال فاسمع مني:
فقرأ عليه سورة فصلت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حِمْ 1 تَبْرِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ 2

(سورة فصلت)

حتى بلغ قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَاتِلٌ 1 أَعْرَضُوا فَقُلْ 2 أَنْذِرْنِّكُمْ صِعَّةً 3 مِنْ صِعَّةٍ 4 عَادٍ 5 وَمُؤْمَدٌ 6

(سورة فصلت)

قال: فقام من فوره فوضع يده على فم النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أنسدك بالرحم إلا كففت. هذا تأثر العرب بالقرآن وهم على غير الإسلام.

تتمة أوصاف القرآن الكريم:

السادسة: مَنَّا بي، (اللَّهُ تَرَّلْ أَخْسَنَ الْخَيْبَثِ كِتَابًا مُّسَابِقًا مَنَّا بي) الله ترّل ولا أحد غيره أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانياً.
لها معنian؛ المعنى الأول من المعاني أن كل آية تتشابه على اختها فتفسرها، وهذا مذكور في السبع المثاني، الفاتحة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

سورة الفاتحة

رب العالمين: تشعر بالهيبة، تخيل إن كنت أمام ملك على ألفي رجل، تشعر بالرهبة، فجاءت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْرَّحْمَنُ لِلرَّحِيمِ

(سورة الفاتحة)

على الرغم من أن ربوبته تشمل العالمين ليس الإنس والجن فقط، كل العوالم: نبات، حيوان، ولكن انتظمت علاقته معك بالرحمة، وكل آية تتشابه على اختها فتفسرها.



كل موضع له نظيره في القرآن الكريم

المعنى الثاني أن القرآن الكريم إذا ذكر الجنة ذكر النار، وإذا ذكر مصير المحسنين ذكر مصير الطغاة والطالعين، وإذا ذكر المؤمنين ذكر الفاسقين، ثم قارن بينهما هل يستويان مثلاً، فالقرآن فيه مثان، يمعنى أن كل موضع له نظيره في القرآن الكريم، هذا مثان.

السابعة: (تَفْشِعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَحْسَنُونَ رَبَّهُمْ) الافسurar هو انقباض الجلد، وهذا يتم في حالتين: في حالة البرد، أو في حالة الخوف، هنا كناية عن الخشية في القلب، افسurar الجلد كناية عن الخشية في القلب، فالجلد ينقبض انقباصاً شديداً.

الثامنة: (أَنْمَّ تَلِينٌ خُلُودُهُمْ وَفُلُونُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) كيف؟ سأقرأ عليكم بعض الآيات كتجربة لتروا كيف تفسر الجلوود وتلين، ليس من الضوري أن يقشعر الجلد، ولكن القلب، فالاقشعرار كناية عن القلب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ فَرِسْنَةُ رَسَنَا مَا أَطْعَنَتْهُ وَلَكُنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ 27 قَالَ لَا تَحْتَمِلُوا لَدَنِي وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ 28 مَا يُبَدِّلُ الْقُولُ لَدَنِي وَمَا أَنَا بِطَلَّامٍ
لِلْعَيْدِ 29 يَوْمَ تَهُولُ لِجَهَنَّمَ كُلُّ امْتَلَاتٍ وَتَقُولُ كُلُّ مِنْ مَزِيدٍ 30 وَإِلَقْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُفْتَنِينَ عَيْرٌ بَعِيدٍ 31 هَذَا مَا تُوعَذُونَ لِكُلِّ أَقْوَابٍ خَفِيفٍ 32
مَنْ خَيْشَى الرَّحْمَنَ بِالْعَيْبِ وَجَاءَ بِقُلْبٍ مُّبِينٍ 33 أَذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ 34 لَهُمْ مَا يَسْأَلُونَ فِيهَا وَلَذِكْرِ مَزِيدٍ 35

(سورة ق)

الاقشعرار عيّد قوله: (بِوْمَ تَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَرِيدٍ) ثم جاءت الآية بعدها (وَأَرْلَقَتِ الْجَنَّةَ لِلْمُنْتَقِينَ عَيْزَ بَعِيدٍ) هنا (لَمْ تَلِنْ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ).

الناسعة: (إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) سماه ذكر الله، القرآن ذكر الله، لأنه يذكرك بالله، بل هو أعظم ما يذكرك بالله، أن تتلو كلامه.

العاشرة: (ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ)، القرآن كتاب الهدایة فيه إعجاز علمي؟ نعم، فيه أخبار السابقين؟ نعم، فيه بلاغة عظيمة؟ نعم، لكن هو لماذا جاء؟ هل ليعلّمنا العرية؟ لا، ليس هذا الهدف، هل جاء من أجل أن تتعلم العلوم؟ لا، فيه بعض الإشارات العلمية، جاء لنهضتي به، حتى يدخل على الطريق، الطريق الصحيح من هنا، والخطأ من هنا، (يَقْدِي بِهِ مَنْ يَتَشَاءُ) أي رينا عز وجل يسّن لك طريق الهدایة من خلال القرآن، فمن سلكه هداه الله، ومن لم سلكه أضلّه الله، (وَمَنْ يُصْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِي) أنت موفقك من القرآن بين هدايتين من الله، أو بين هدایة وأضلال نسأل الله السلامة، المؤمن موقفه بين هدايتين هداه الله بالقرآن استجابة لله، هذه الهدایة الثانية، المعرض هداه الله تعالى بالقرآن فلم يقبل فأضلّه الله، أنت صاحب الموقف، أنت مختار أن تسلك طريق الحق أو الضلال، ولكن الله ابتداء هدى الجميع، فهذه الآيات بين أيدينا جميعاً من قبل بها يهدى الله، ومن يرفضها مختاراً وأعياد بالله يضلل الله، (وَمَنْ يُصْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِي) وكل عام وأنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته